مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص109 – ص117
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الأستاذ الدكتور مولاي بالحميسي
رائد المدرسة التاريخية الجزائرية العثمانية

أ.د/ إبراهيم سعيود
جامعة الجزائر2

تاريخ الاستلام: 20 /06/ 2022 تاريخ القبول: 17/ 07/ 2022

Résumé :

Impossible de mesurer en quelques ligne la contribution décisive de M. Belhamissi à ce versant majeur de l'histoire de l'Algérie.

Des centaines de publications…regroupant des une riche documentation des centaines de documents inédits du plus haut intérêt .

De ces publications une monumentale thèse d'état sur la marine algérienne 1518-1830.

« C'est la mer qui a fait l'histoire, la fortune et la puissance d'Alger » écrit Lespés.

« C'est M.Belhamissi qui a écrit l'histoire de la marine et marins d'Alger » Souligne Ibrahim Sayoud.

Mots clés : Mouley Belhamissi, Méditerranée, Marine Algérienne, Alger, Algérie Ottomane.

الملخص:

يكاد يكون من المستحيلات أن نلخص في بضعة صفحات المساهمة الحاسمة للأستاذ مولاي بالحميسي في الجوانب الرئيسية من تاريخ الجزائر

المئات من المنشورات... كلّها تحتوي على مادة وثائقية غنية جدا ودسمة ، المئات من الوثائق غير المنشورة ذات أهمية كبيرة.

مجلة الدراسات التاريخية

ومن هذه المنشورات الأطروحة المتعلقة بالبحرية الجزائرية خلال الفترة الممتدّة من 1518 إلى 1830.

إذا كان البحر قد صنع تاريخ وثروة وقوة الجزائر كما كتب ليسبيس، فإن الأستاذ مولاي بالحميسي هو من أرّخ لتاريخ البحرية الجزائرية ورياسها، كما ذكر إبراهيم سعيود.

الكلمات المفتاحية. مولاي بالحميسي، البحر المتوسط، البحرية الجزائرية، الجزائر، الجزائر العثمانية

أد.ابراهيم سعيود

1.الأستاذ الدكتور مولاي بالحميسي، مسيرة وقلم (1930 – 2009)[1]

بتاريخ 1 أكتوبر 2009، فقدت الجزائر واحدا من كبار المؤرخين على المستويين العربي والمتوسطي، آلا وهو الأستاذ مولاي بالحميسي.

والأستاذ مولاي بالحميسي من مواليد 17 جانفي 1930 بمازونة، والمعلومات التي سأوردها بشأنه والتي تمثل سيرته الذاتية والعلمية تسلمتها

منه قبل وفاته بنحو 10 سنوات، إضافة الى البحث الخاص بمدينة الجزائر ، مرقونا على الألة، وهو موضوع قرائتنا هذه.

2.المؤهلات العلمية

حاز على شهادة البكالوريا تخصص علوم كما أخبرني بذلك، وتحصّل أيضا على شهادة عليا في الأدب من جامعة "أكس أون بروفانس" سنة 1963، وكذا شهادة التبريز في الأدب العربي سنة 1966، كما حاز على شهادة الدكتوراه "الحلقة الثالثة" سنة 1972، من جامعة "أكس" ثم شهادة دكتوراه دولة من جامعة بوردو سنة 1985.

بدأ عمله في سلك التعليم سنة 1955 إلى غاية سنة 2000، قضى منها نحو 35 سنة في التعليم العالي. تولى عدة مناصب في قطاع التربية والتعليم، وكذا التعليم العالي، منها مفتش أكاديمية التعليم لمنطقة وسط البلاد سنتي 1964 و 1965، ثمّ مديرا للمركز البيداغوجي للتعليم العالي لجامعة الجزائر من 1968 إلى 1973، ثمّ مديرا لمعهد التاريخ

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

سنتي 1987 و 1988، كما عيّن رئيسا للجامعة المغاربية، ورئيسا للمجلس العلمي لمعهد الأثار بجامعة الجزائر.

انتخب الأستاذ مولاي بالحميسي عضوا شرفيا بمعهد أتاتورك بأنقرة سنة 1986، ونائبا لرئيس الجمعية الدولية لمؤرخي البحر الأبيض المتوسط بمدينة روما الإيطالية.

3.أبحاثه ومؤلفاته باللغتين العربية والفرنسية:

صدر للأستاذ مولاي بالحميسي العديد من المؤلفات أغلبها باللغة الفرنسية:

- Edition critique des Ghazawat de' Arrudj wa Khayreddine. (Thèse de 3éme cycle) Aix, 1972.

Marine et marins d'Alger à l'époque Ottomane 1516-1830 (Thèse d'état) Bordeaux III, 1986.

- L'Algérie vue par les voyageurs Marocains à l'époque Ottomane (en arabe) Alger, 1979.
- Histoire de Mazouna des origines à nos jours. (1981).
- Histoire de Mostaganem des origines à nos jours. (1982)
- Histoire de la Marine algérienne. (1986).
- Captifs algérien et l'Europe chrétienne. (1988).
- Alger, la ville aux mille canons. (1990).
- Histoire d'Alger par ses eaux. (1990).
- Lectures algéroises (séries d'articles sur la capitale).
- Alger, l'Europe et la guerre secrète. (1995).

4.المقالات المنشورة باللغة العربية.

- الجزائر وقضية القرصنة .مجلة تاريخ وحضارة المغرب. عدد 4، 1968.

- المؤرخ الجزائري: التنسي. مجلة تاريخ وحضارة المغرب. عدد 5، 1968.

- غارة شارلكان على مدينة الجزائر (1541)بين المصادر الإسلامية والمسيحية. مجلة تاريخ وحضارة المغرب. عدد 6. 7، 1969.

- تحرير وهران (1708) مجلة تاريخ وحضارة المغرب. عدد 9، 1970.
- مدينة ورقلة من خلال الرحالة المغربي العياشي. مجلة تاريخ وحضارة المغرب. عدد 9، 1970.
- العلاقات الجزائرية الأسبانية: معاهدة السلم سنة 1786. مجلة تاريخ وحضارة المغرب. عدد 11، 1974.
- الثورات المحلية ضد الإدارة التركية من خلال وثائق إسبانية غير منشورة. مجلة الثقافة. عدد. 48 سنة 1978.
- معركة الزلاقة (الأندلس) في 1086 وتداعياتها. مجلة الجندي، عدد 37/مارس 1980
- الحروب الصليبية ضد المغرب والمقاومة الشعبية. مجلة الجندي، عدد 37/مارس 1980
- شرطة الجزائر في العهد التركي. مجلة الشرطة. عدد 19.
- السياسة الضريبية في الجزائر في نهاية العهد التركي. أشغال المؤتمر الثالث لتاريخ المغرب. وهران. 26-28 نوفمبر1983.
- الجوسسة الأوربية في الجزائر خلال العهد العثماني واحتياطات حكام الإيالة لمجابهتها. مجلة الباحث. عدد 3. 1985.
- إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان (1689-1695). مجلة الدراسات التاريخية. جامعة الجزائر. عدد 2. سنة 1986.
- حلقة في حروب القرصنة: أسر الجزائريين في البحر وعلى السواحل خلال العهد العثماني. مجلة الشرطة. عدد 36. سنة 1988.
- عودة الإسبان لاحتلال وهران سنة 1732. الجزائر. 1988.
- الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني مجلة « Le Médersien » عدد. 2. 1993.
- بناء السفن البحرية في الجزائر من القرن 16 إلى القرن 19. مجلة الآثار. معهد الآثار. جامعة الجزائر. عدد خاص. 1995.
- إحياء المولد النبوي في الجزائر خلال القرن الثامن عشر.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

Articles de revues

- **En français.**
- Une lettre inédite sur Alger au XVIIIème siècle.
- Relations entre Algériens et Italiens à l'époque Ottomane.
- Relations et description de la ville d'Oran au XVIIIème siècle.
- Régence d'Alger et Eglise Catholique (1516-1830).
- Le Ramadhan à Alger sous les Turcs.
- Un fils de Guelma, Khoualdji Salah.
- Aid el fitr sous les Turcs.
- Un Rais algérien à Marseille en 1712.
- Un épisode de la résistance Algérienne: l'attaque de Gigel en 1664.
- Tolérances religieuses: l'exemple d'Alger.
- Captifs chrétiens en Algérie: Histoire ou Hystérie?
- Alger et le Caire ou la solidarité séculaire.
- Une tragédie aux portes d'Alger: l'extermination des Aoufias.
- Toscane et Algérie (X - XIXème siècles).

5.التأسيس لمدرسة تاريخية جزائرية.

لقد أولى الأستاذ مولاي بالحميسي اهتماما كبيرا بدراسة التاريخ الحديث، والكتابة فيه، وفي مقدمته ما تعلّق بالجزائر خلال الفترة العثمانية، خاصة تاريخ البحرية الجزائرية، وعلاقات الجزائر مع أقطار المغرب الإسلامي، والعلاقات المتوسطية مع الأقطار المسيحية في الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط.

ويعدّ ما كتبه حول مدينة الجزائر - باعتبارها قبلة للدارسين وملتقى للعارفين - تأسيسا لترابط وتكامل بين العلامة الثقافية والصورة الاجتماعية والكتابة التاريخية، وذلك من أجل إبراز أوجه الثقافة المتعددة والمتنوعة لهذه المدينة قبيل وخلال العهد العثماني.

لقد انطلقت كتابات الأستاذ مولاي بالحميسي في هذا الصدد، من تصور للثقافة الجزائرية باعتبارها إرثا حضاريا متواصلا تتقاطع في تشكيله وتكوينه عوالم جغرافية

متجاورة ومتفاعلة، انطلاقا من الحضارة العربية الإسلامية، والحضارة المتوسطية بفرعيها المغاربي والأندلسي.

إن ما كتبه الأستاذ مولاي بالحميسي، حول التعليم والعلم والعلماء، وكذا المدارس التعليمية في مدينة الجزائر، هو بالأساس مشروع، يهدف إلى وضع معالم ومراجع للمؤسسات التعليمية في مدينة الجزائر لجعلها في متناول الباحثين في تاريخ الجزائر العثمانية، وبالتالي يمكن لهذا المشروع أن يوثّق للحركة الثقافية والتعريف بها بكيفية أكاديمية سليمة، وذلك بقصد الرّد على المفاهيم، والصيّغ، والتصورات والمصطلحات التي تميزت بمظاهر الانحرافات والتشويه التي لحقت بتاريخ الجزائر العثمانية، والتي تتطلب المراجعة والتصحيح.

لقد أصبح تاريخ الجزائر العثماني بفضل كتابات الأستاذ مولاي بالحميسي علما منهجيا راسخا، ولم يعد سردا للحوادث بل تعليلا لها، وهذا ما نلاحظه في كتبه ومقالاته. ولعل هذا يعود بالدرجة الأولى إلى اعتماده على الوثائق المحفوظة في علب الأرشيف في الجزائر وباريس وأكس ومرسيليا وغيرها.وبذلك فقد أسس الأستاذ بلحميسي لمدرسة جزائرية عثمانية للتاريخ الحديث.

من ركب البحر ملك البر.

قالت العرب قديما: " من ركب البحر ملك البر" مقولة كثيرا ما كان الأستاذ مولاي بلحميسي يرددها في محاضراته حول الأهمية التاريخية والإستراتيجية للبحر الأبيض المتوسط، كما ورد ذلك في كتاباته وخاصة ما نشره باللغة الفرنسية حول الجزائر والبحر وكذلك الجزائر والبحرية الجزائرية2.

مواجهة المغرضين وأصحاب الأقلام المأجورة

وصف الدكتور مولاي بالحميسي المغرضين من الغربيين أثناء الفترة العثمانية والمستعمرون بعد 1830، بأن كتاباتهم تميزت بكونها سموم القدح والتحقير، وذلك لأنهم تبنوا أطروحات مبنية على طمس الحقيقة وتشويه الواقع.

فما أكثر ما كتب دعاة التغريب والتضليل عن جدب الحياة الفكرية وعقمها وركود نشاطها. وأنكروا وجود أي أثر للعلوم والتعليم والإبداع، ونسبوا للأهالي العجز والكسل

والجمود، بل والنفور من كل ما من شأنه غذاء الرّوح حتى زعموا وألحوا على أن هؤلاء أبعد خلق الله عن " القرطاس والقلم ".

يؤكد الأستاذ مولاي بالحميسي أن أهداف هذه الفئة جليّة وأغراضها واضحة وهي تكمن فيما يلي :

تبرير الاحتلال وتعليل هيمنته باسم الحضارة والعمران.

أن أغلب تقارير القناصل المقيمين في الجزائر، وكذا مراسلات الجواسيس وكتابات الرهبان والرحّالة وأيضا كتابات الأسرى المسيحيين كانت تحذو حذو المؤرخين.

أن هؤلاء لم يحتكوا بالسكان احتكاكا كافيا، لذلك اقتنعوا بالأفكار المسبقة والروايات الضالّة والأغلاط المقصودة.

يستدل الأستاذ مولاي بالحميسي بما كتبه وليام شيلر، قنصل الولايات المتحدة الذي شاهد السنوات الأخيرة للوجود العثماني بالجزائر، باعتباره أصدق نموذج للتغليط والتضليل حيث قال:" لا فائدة في التحدّث عن وضعية العلوم بالجزائر فهي– أي العلوم – مفقودة أو مستخفّ بها، وأن ادبهم هو القرآن..." وهذا نمط من الغلوّ والتنكر، بل أنه لم يطّلع على ما جادت به قرائح أهل الجزائر، ولكنّه الغلو والتعصب في أعلى مراتبه3.

6.كلمة لابد منها

أنهي بحثي هذا عن المؤرخ و الأكاديمي الأستاذ مولاي بالحميسي، بالحديث عن ما تعوّد عليه في كتاباته وأبحاثه ومحاضراته بوصف الجزائر بأوصاف تليق بمقامها التاريخي وبصور جميلة وحقائق مواتية للحضارة والأخلاق، بل أؤكد أن ماكتبه حول البحرية الجزائرية، وحول الرحّالة، وحول العلم والتعليم في الجزائر العامرة، يمحو ما كتبه المغرضون وأصحاب الأقلام المأجورة، فمنهم من قال : " ... انخفض مستوى التعليم والثقافة في مدينة الجزائر رغم أنها كانت عاصمة البلاد بل أهمل الجزائريون والعثمانيون التعليم في كامل القطر الجزائري...

والقول غير صحيح إذ تشجيعات الدايات والبايات مدوّنة في الكتب وإسهامهم بالنفقات والتبرعات والمبادرات أنجب فحولا من الكتاب والشعراء، وهم بدورهم جلبوا للعاصمة أتباعا وأكسبوها إشعاعا فاستفادوا وأفادوا وأكبر فضلهم علينا أنهم حافظوا على لغة الضاد ومكّنوها وجعلوا من مدينة الجزائر (وهي ريحانة القاطن وسلوانة الزائر)مصرا ضاهى فاسا وتونس وعواصم المشرق والأندلس وتبقى الجزائر دوما كما دعى لها صاحب الزهرة النيرة: "... اللهمّ أدمها دار الجهاد، ومحلّ عزم واجتهاد، إلى يوم التناد، بحرمة أشرف العباد، وأكرم العبّاد..." بل وتبقى الجزائر كما قال عنها شيخنا وأستاذنا مولاي بلحميسي: " قبلة للدارسين وملتقى للعارفين".

اللهمّ اجعل مساهمتي هذه في التعريف برائد المدرسة التاريخية الجزائرية العثمانية، وفي التعريف بما كتبه الأستاذ الدكتور مولاي بالحميسي حول الجزائر أو قبلة الدارسين وملتقى العارفين ، نورا له في قبره، ومتكئا له في جنة الخلد، على رفرف خضر وعبقري حسان.

7 . الهوامش:(*)

---

1 Dans un article publié dans la revue « Africa » de l'année 1987, Guy Turbet-Delof à souligné que M. Belhamissi a, plusieurs années durant, patiemment exploré, entre autres, les riches dépôt d'archives de Paris, Aix en Provence , Marseille, Toulon, et d'Alger.

2 **C**ette mer n'est pas comme les autres !disent les historiens. D'abord par sa situation : comme aux trois continents, « elle est le lieu géographique des rapports de l'Orient et de l'Occident » Elle est aussi « La plus belle portion du globe ». Ensuite, par sa nature, contrairement aux autres mers et océans, elle n'est pas hostile a l'homme. C'est une mer très accueillante qui fut très tôt la patrie des marins, leurs raison de vivre et leurs moyen de subsistance.

Enfin par son rôle : berceau de la civilisation, des arts, des courants économiques et culturelles.

Au moyen âge, depuis le XII^{e} siècle, surtout en dépit de l'avance musulmane en Afrique du nord et en Espagne, la Méditerranée fut soumise a la loi chrétienne malgré les découvertes géographique, la route des Indes et celle de l'Amérique du sud, la Méditerranée garda son importance.

Le cadre et le décor ou doivent se produire les acteurs, changent avec l'arrivée des Turcs au début du XVI^{e} siècle. La chute de Rhodes en 1522 et

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

celle du Penon d'Alger en 1529, permirent à l'Islam de reprendre l'initiative, la Méditerranée se transforma en un lieu d'affrontement entre Musulmans et Chrétiens. Belhamissi M, Histoire de la marine Algérienne…

3 « Il est inutile de parler l'état des sciences à Alger, ou elles n'existent pas ou elles sont prisées, le Coran est toutes leur littérature »
Shaller (W), Esquise de l'Etat d'Alger, p. 37.

* نشر كتاب وليام شالر باللغة الانجليزية في بوسطن سنة 1826، وضعت له ترجمة فرنسية نشرت في باريس سنة 1830، قام بترجمته إلى الفرنسية M.E. Blanchi وهو المترجم الرسمي للملك شارل العاشر الذي خطط حملة لاحتلال الجزائر. وقام الأستاذ إسماعيل العربي بترجمة النسخة الانجليزية التي نشرت في بوسطن إلى العربية وعلّق عليها، وأتمّ الترجمة بحسب ما ورد في مقدمة الكتاب في 16 مايو 1977، ونشرتها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر سنة 1982، حول التفاصيل ينظر إسماعيل العربي، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816 – 1824) منشورات ش. و. ن. ت، الجزائر 1982، ص 18. أما العنوان الأصلي بحسب ما ورد في كتاب إسماعيل العربي فهو:

SKETCHES OF ALGIERS
Containing An Account
of the
Geography, Population, Revenues, Commerce, Agriculture

OF THAT COUNTRY *
By William SHALER
American Consul General at Algiers

كيف يتحدث وليام شالر عن فقدان العلوم في الجزائر، بينما تحتوي مذكراته المنشورة في بوسطن سنة 1826، على التجارة والزراعة والفن والقوانين واللغة وغيرها، وكل هذا من وحي العلوم.